

## تفسير البغوي

قوله D : { ربنا إني أسكنت من ذريتي } أدخل { من } للتبسيط ومحاز الآية : أسكنت من ذريتي ولدا { بواد غير ذي زرع } وهو مكة لأن مكة واد بين جبلين { عند بيتك المحرم } سماه محرما لأنه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الملحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أيوب السختياني و كثير بن أبي كثير بن المطلب بن أبي وداعه - يزيد أحدهما على الآخر - عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذ منطقا لتعفي أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم عليه السلام وبابها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زرمم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل إبراهيم منطلقها فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها فقالت له : آه أمرك بهذا ؟ قال : نعم قالت : إذن لا يضيعنا / ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثانية حيث لا يرونها استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه فقال : { ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع } حتى بلغ يشكرون .

وجعلت أم إسماعيل تررض إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعشابتها وجعلت تنظر إليه يتلبط أو قال يتلوي وانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض إليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبيط من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سمعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات .

قال ابن عباس : قال النبي A : [ فلذلك سعى الناس بينهما ] .

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت : صه - تrepid نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواص فإذا هي بالملك عند موضع زرمم فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء فجعلت تخوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تعرف من الماء في سقاها وهو يفور بعدها تغرف .

قال ابن عباس قال النبي A : [ يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زرمم ] أو قال : [ لو لم

تغرف من الماء لكان زمزم عينا معينا .

قال : فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك : لا تخافوا الضياعة فإن هنا بيتاً يبنيه هذا الغلام وأبوه وإنما لا يضيع أهله .

وكان موضع البيت مرتفعاً من الأرض كالرابة تأتيه السيل فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم - أو أهل بيته من جرهم - مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ولعهدنا بهذا الوادي وما فيه من ماء فأرسلوا جريحاً أو جريباً فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء فقالوا : أتاذين لنا أن ننزل عندك ؟ قالت : نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا : نعم .

قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : فألقى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شُبَّ فلما أدرك زوجه امرأة منهم وما تأمِّل إسماعيل فجاء إبراهيم عندما تزوج إسماعيل يطالع تركته ذكرنا تلك القصة في سورة البقرة .  
قوله تعالى : { ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس } الأئمة : جمع الفؤاد { تهوي إليهم } تشთق وتحن إليهم .

قال السدي : ومعناه أمل قلوبهم إلى هذا الموضوع .

قال مجاهد كلو قال أئمدة الناس لنراحمكم فارس والروم والترك والهنود .

وقال سعيد بن جبير : لحث اليهود والنماري والمجوس ولكنه قال : { أئمدة من الناس } وهم المسلمون .

{ وارزقهم من الثمرات } ما رزقت سكان القرى ذوات الماء { لعلهم يشكرون }